تجليات لسانيات النص في الدرس اللغوي الغربي

The manifestation of text linguistics in the Western language lesson

الدكتورة: آمنة جاهمي

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة 8 ماي 1945 قالمة- الجزائر.
djahmi.amina@univ-guelma.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/08 تاريخ القبول: 2021/05/16 تاريخ النشر: 2021/09/15

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جهود اللسانيين الغربيين في البحث النصي، من خلال مؤلفاتهم وكتاباتهم، على الرغم من وجود إرهاصات لهذا العلم في التراث العربي، مبرزين في ذلك جهود كل من زليخ هاريس Z.Harris، وبراون ويول G.Youl-G.Brown، وهاليداي(M.A.K.Hlliday)ورقية حسن، وفان ديك T.V.Dijk، ودروهم الفعّال في الانتقال بالدراسة اللسانية من مستوى الجملة الواحدة إلى مستوى النص، هذا الأخير الذي أصبح الأساس الأول الذي تقوم عليه اللسانيات النصية.

الكلمات المفتاحية:

النص، الخطاب، لسانيات الجملة، لسانيات النص.

Abstract:

This study aims at revealing the efforts of westem linguists in textual research through their writings ,despite the existence of initiations to this sciens in the Arabic tradition, showing the efforts of Zelling Harris, Brown and Youl, Hlliday and Roquia Hacen, and Van Dick and their effective role in the transfer of the linguistic study from the level of one sentence to the level of text, this latter becomes the first basis that textual linguistics stands on.

Keywords:
text, discourse, syntax, text linguistics.

مقدمة:

إن المتأمل في التراث اللغوي العربي يقف عند كثير من القضايا والمفاهيم الأساسية التي تتقاطع وتتشابك مع ما توصلت إليه الدراسات اللغوية العربية الحديثة، ولعل أحدثها بزوغا ما عرف بـ **نحو النص أو لسانيات النص**، هذا العلم الذي جاء كردة فعل مغايرة للمناهج التي

قصرت دراستها على الجملة، وعدتها الوحدة الكبرى، فدرستها مفردة معزولة عن سياقها، إلا أن لسانيات النص تجاوزت ذلك لاعتمادها على مبدأين أساسين هما: أولهما البحث في ترابط النصوص وتماسكها في إطار وحدة كلية، وثانيهما الكشف عن النظام الذي يقوم وفقه نص ما كيانا قائما بذاته، انطلاقا من وسائل الربط والتماسك السطحي التي تعرف **بالاتساق**، والعلاقات الدلالية التي تعرف **بالانسجام**، والنظر فيما إذا كان النص المدروس مقبولا تداوليا من خلال السياق الذي أنجز فيه، وهو ما يعرف **بالمستوى التداولي** من التحليل اللّساني النصي.

إلا أن هذا التّصور المعتمد في تحليل النصوص وفق لسانيات النص غير ملم بجميع جوانبها، لأن كل دارس اهتم منها بجانب معين وأهمل الجوانب الأخرى، فركزا **هاليداي** (M.A.K. Halliday) ورقية حسن على اتساق الوحدات السطحية، وركز عمل **فان دايك**(van dijk) على المستوى الدلالي، في حين اهتم **براون ويول** (G. Brown/ G.Yule) بالسياق والجانب التداولي.

وقد ارتأينا في هذه الدراسة أن نركز حديثا على أهم المحطات التي مرّت بها لسانيات النص في الدرس اللغوي عند الغرب من حيث المنطلقات والمبادئ والأدوات الإجرائية، متسائلين في ذلك عن الكيفية التي تناول بها الدرس الغربي متفرقات هذا العلم.

لسانيات الجملة ولسانيات النص:

1- **لسانيات الجملة**: تعد الجملة الموضوع الرئيس لعلم النحو[1]، وهي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر[2].

وقد تداخل مفهوم الجملة مع مفهوم الكلام في النحو القديم، إلى أن جاء أبو هشام الأنصاري(ت 761 ه)[3]، وفصل كل مفهوم عن الآخر، والمتتبع لتعريفات الجملة يقف على التباين الواضح بين الاتجاهات التي عرفتها، فمنها من ارتكز على منطلق دلالي محض، وبعضها ارتكز على منطلق شكلي محض، وفريق ثالث مزج بين الدلالة والشكل[4]، ومن هنا يمكن تقسيم الجملة إلى نوعين:

- **الجملة النّظام**: "وهو شكل الجملة المجردة الذي يولد جميع الجمل الممكنة والمقبولة في لغة ما"[5]. فهذا التعريف يعطي للجملة معنى استقلاليا بعيدا عن السياق وهو ما يقع ضمن نطاق نحو الجملة.

- **الجملة النّصية**: هي التي تقع ضمن نطاق لسانيات النص "فهي الجملة المنجزة فعليا في المقام، وفي هذا المقام تتوفر ملابسات لا يمكن حصرها، يقوم عليها الفهم والإفهام، وتتعدد الجمل في المقام الواحد، وعلى لسان شخص واحد، نظريا إلى ما لانهاية، وهذا التعدد يعود إلى التفرد من حيث البنية المولدة للجمل، أي إلى النحو: نحو الجملة، ولكنه يخرج عنها عندما

يتعلق الأمر برصد عمل الدلالة في النصوص في وجوهها المختلفة: الانسجام في الموضوع... والتفاعل القائم بين أطراف التواصل، مثل إستراتيجية الإقناع، وإستراتيجية الإمتاع في إنتاج شعري..."[6]، فهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالته من خلال الاتساق والانسجام.

2ـ لسانيات النص:

هي فرع من فروع علم اللغة، انتقلت بالدراسة اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى النص، وربطت بين اللغة والموقف الاجتماعي أثناء عملية التواصل.

وقد تبلورت ملامح هذا العلم ومناهجه وإجراءاته منذ منتصف الستينيات من هذا القرن تقريبا[7]، وعرف هذا العلم بمسميات عديدة منها: نحو النص، اللسانيات النصية، علم قواعد النص، علم النص، علم اللغة النصي.

ومهما يكن من تباين واختلاف في التسميات فإن هذا العلم يتخذ النص كله وحدة للدراسة والتحليل، وليست الجملة كما هو الحال في الأنحاء السابقة.

3 ـ الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

إن الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص لا يعني دحض المقولات الأولى وعدم الاهتمام بها، كما لا يعني التعارض التام بينهما، لأن لسانيات الجملة هي الأساس الأول والحجر الأساس الذي بنت عليه لسانيات النص مفاهيمها وإجراءاتها النظرية والتطبيقية، وفي هذا الصدد يقول اللساني الألماني (روك Rook): " أخذت اللّسانيات النّصية بصفتها العلم الذي يهتم ببنية النصوص اللغوية وكيفية جريانها في الاستعمال، شيئا فشيئا مكانة هامة في النقاش العلمي للسنوات الأخيرة لا يمكن اليوم أن نعدها مكملا ضروريا للأوصاف اللغوية التي اعتادت أن تقف عند حدود الجملة معتبرة إياها أكبر حد لتحليل بل تحاول اللسانيات النصية أن تعيد تأسيس الدراسة اللسانية على قاعدة أساسية أخرى هي النص ليس غيره"[8]. وبناء على ذلك تم تجاوز القاعدة التي وضعها بلوم فيلد Bloum Feild الذي كان يعد الجملة أكبر وحدة قابلة للدراسة، وأنها الموضوع الشرعي الوحيد للسانيات على اعتبار أن الأشكال التي تكبرها لا يمكن تحديدها في إطار يمكن دراستها على أحسن وجه، حيث كتب هاريس Harris سنة 1952م أن " اللغة لا تأتي في شكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجالات العشرة من المونولوج وانتهاء بخطاب سياسي."[9] فقد نبه إلى مستوى من مستويات التحليل ظل غائبا في أوساط النقد على الرغم من الأهمية البالغة التي يحوزها من مقولات نظرية و أدوات إجرائية.

وقد أشار ميخائيل باختينMichael Bakhtine سنة 1987م إلى العجز الذي تعيشه اللسانيات في تلك الفترة من جراء عمد مقدرتها على تجاوز حدود الجملة، حيث " لم تستطع اللسانيات الوصول إلى دراسة المجموعات الكلامية الكبرى كالملفوظات اليومية المطولة والحوارات والخطابات والروايات على الرغم أن مثل هذه الملفوظات بحاجة إلى دراسة وتحديد وفق رؤية لسانية على غرار بقية الظواهر اللغوية الأخرى، وإلى يومنا هذا . يضيف باختين . لم تستطع اللسانيات تحقيق قفزة علمية تتخطى بها حد الجملة المركبة."[10]

فلسانيات النص بلغت محطات متقدمة في الدرس اللغوي الحديث لم تتمكن لسانيات الجملة بلوغها، إذ تمكن الباحثون النصّيون من تحديد العلاقات القائمة بين الجمل وفقرات النصوص على جميع المستويات: الصوتية والصرفية والمعجمية والنحوية والدلالية.

فاهتمت بدراسة النص دراسة معمّقة من خلال بحث العلاقات المعنوية التي لا تعمل على تجسيد تماسك النصوص وانسجامها، منطلقة من أن النص هو أكبر وحدة دلالية قابلة للتحليل، هذا بالإضافة إلى عنايتها بالظروف والملابسات والسياقات الخارجية وكذا الاهتمام بالمتلقين وإبراز دورهم في بناء النص وإعادة إنتاجه وفهمه.

ولسانيات النص تشتغل على النص، ولمقاربته وظفت مختلف ما سبق من دراسات، سواء في السيميائيات أو السرديات أو البلاغة العربية والدراسات السوسيولسانية ، يقول جون ميشال آدم:" إن اللسانيات النصية يمكنها اليوم أن تحدد كمجموع نظري يستطيع أن يستوعب كل هذا الإرث المعرفي."[11]

وبهذا اكتسب العلم مشروعيته، وتم التوجه: "نحو الاعتراف بأجرومية النص بديلا موثوقا به لأجرومية الجملة، وفتحت للدرس اللساني منافذ كان لها أبعد الأثر في دراسة اللغة ووظائفها النفسانية والاجتماعية والفنية والإعلامية"[(12)]. على أن مصطلح الأجرومية مصطلح تبناه سعد مصلوح في مقابل لسانيات / نحو النص، ويقصد به دراسة علاقات التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق وحالات الحذف والتحويل إلى الضمير وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيرا دقيقا إلا من خلال وحدة النص الكلية.[13]

تجليات لسانيات النص في الدرس اللغوي الغربي:

أولا: هاريس (Harris)

لعل أول عمل يمكن إدراجه في هذا الحقل المعرفي، على الرغم من كونه يمثل البدايات الأولى، هو عمل زليخ هاريس Z.Harris الذي يعد أحد رواد التوزيعية الأمريكية، حيث ركز

بحثه اللساني على الجملة، ثم حاول تطبيقيه بعد ذلك على الخطاب، حيث اعتمد في تحليله على وسائل شكلية ثلاثة هي:

- تجزئة الجملة إلى أصغر وحداتها.

- تصنيف الأجزاء المحصل عليها من التقطيع في فئات جامعة حيث يجمع بين كل عناصر الفئة صفة مشتركة كأن تكون صفات وأسماء...إلخ.

- وصف العلاقات القائمة بين الوحدات النحوية، والعلاقات الرأسية أو العمودية في تعاقب أبنية/ أشكال مختلفة داخل وحدة نحوية بعينها[14].

لذا فإن **هاريس** هو "أول لساني حاول توسيع حدود موضوع البحث اللساني بجعله يتعدى الجملة إلى الخطاب"[15]، وذلك من خلال كتابه **(تحليل الخطاب)** الذي نشره سنة 1952، حيث رأى أن اللغة يمكن لها أن تنتظم في نظام أكبر من الجملة، يقول في هذا الصدد: "اللغة لا تأتي على شكل كل، أو جمل مفردة، بل في نص متماسك بدءا من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات العشرة، بدءا من المونولوج وانتهاء بمناظرة جماعية مطولة"[16].

وقد حلل **هاريس** الخطاب انطلاقا من مسألتين: **الأولى** تفيد الربط بين اللغة والموقف الاجتماعي (مسألة غير لسانية)، و**الثانية** توسيع حدود البحث اللساني إلى البحث في العلاقات التوزيعية الرابطة بين الجمل (مسألة لسانية).

من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا أن **هاريس** حافظ على الإجراءات الشكلية التوزيعية، غير أنه انتقل بها من مستوى الجملة إلى مستوى أشمل (الخطاب/ النص)، فكان الانتقال في ذلك كميا وليس نوعيا.

ثانيا: براون ويول G.Brown- G.Youl:

لقد تحددت رؤية **براون ويول** G.Brown- G.Youl اتجاه لسانيات النص وتحليل الخطاب من خلال كتابهما "**تحليل الخطاب**" الذي صدر سنة 1983، حيث حددا فيه موضوع هذا العلم بأنه كل مادة لغوية أكبر من الجملة[17]، ويؤكدان أيضا على أن تحليل الخطاب لا يمانع من استعارة أدوات أخرى من مجالات مؤثرة في دراسة اللغة كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات النفسية، والذكاء الاصطناعي...[18]، لذا نجدهما اختزلا وظيفة اللغة في وظيفتين اثنتين هما: **الوظيفة النقلية** و**الوظيفة التفاعلية**، فالأولى مهمتها نقل المعلومات والأفكار بين أفراد الجماعة اللغوية، بغية تطوير المعارف والثقافات ، لأن المتكلم أو المرسل غايته الأسمى هي جعل خطابه واضحا ومفهوما لا يعتريه لبس ولا إبهام[19]، أما الوظيفة الثانية فتتمثل في

التفاعل الواقع بين الأفراد المتخاطبين، لأن المتكلم في هذه الحال يقصد إلى بناء علاقات اجتماعية يتأثر بعضها ببعض.

وبالنظر إلى الاتجاهات اللسانية السابقة فإننا نجدها ركزت على البعد الشكلي للغة باتخاذها منطلقا للبحث وهدفا في الآن ذاته، فجاء كل من **براون ويول** وأعادا الاعتبار للإنسان وسلطته اللغوية في العملية التوصيلية، بجعلهما المرسل والمتلقي المحور الأساس الذي تقوم عليه العملية، لأنه لا يمكن تصور تواصل لغوي دونهما ودون الظروف المحيطة بهما من سياق زمني ومكاني ومقامي[20].

- **مبادئ انسجام الخطاب:**

حُددت المبادئ التي ينسجم بها الخطاب عند **براون ويول** في أربعة مبادئ هي:

أ- السياق: يعتبر السياق أحد أهم المبادئ التي تحقق انسجام الخطاب، لأنه المتحكم في الاتجاه التأويلي الذي يسلكه المؤول، فكثيرا ما يؤدي اختلاف سياقين لقول واحد إلى تأويلين مختلفين، لأن عزل الخطابات عن سياقاتها أو عدم الإحاطة بالعناصر الصحيحة للسياق أو إهمال أحدهما يعد عقبة كبيرة في سبيل تأويلها وفهمها.

ب- مبدأ التأويل المحلي: وهو مبدأ يدعو المتلقي إلى عدم إنشاء سياق يفوق حاجته للوصول إلى فهم معين لقول ما[21]، معنى ذلك لا بد للمتلقي أن يأخذ بعين الاعتبار كل ما سبق من الخطاب وسياقاته ويتقيد به ما أمكنه ذلك حتى لا يضطر إلى تصور سياق جديد قد يكون أكبر أو يفوق حاجته في الفهم فيعيقه أو يضلله.

ج- مبدأ التشابه: ويقصد به ما تراكم لدى المتلقي من معرفة وتجارب من نصوص سابقة مما يشكل له خلفية معرفية تساعده في عملية الفهم والتأويل، فتجربة الإنسان مع أحداث سابقة متشابهة تزوده بافتراضات وتوقعات عن خصائص السياق التي يمكن أن تكون مناسبة للنص الذي تتعامل معه، كذلك تعامله مع نصوص مشابهة في السياق يزوده بالخلفية المعرفية التي يمكن أن يبرر بها انسجام نص ما.

د- مبدأ التغريض: يقصد به أغلب عناصر النص تدور في فلك موضوع واحد مستمر خلال النص كله، معنى ذلك أن في النصوص موضوعا أو غرضا يعد بؤرتها ومركز جذب لها، وبالإضافة إلى هذه العناصر فإن العنوان أيضا يؤدي دورا هاما في صرف نظر المتلقي إليه ومحاولة تأويل النص وتطويعه ليلائمه حتى وإن وجد صعوبة في ذلك، وقد مثّل **براون ويول** لذلك بنص مقدم إلى مجموعتين مختلفتين، وغير العنوان لكل واحدة، فجاء التأويل مختلفا، ومكيفا بحسب العنوان، لذا دعا **محمد الشاوش** إلى تسمية هذا المبدأ بـ:"مبدأ وحدة الموضوع والغرض" ورآه أكثر ملاءمة ووضوحا[22].

وقد تبنى الباحثان موقف **هايمس**(hymes)الذي حدّد فيه دور السياق المزدوج في حصر التأويلات الممكنة وترجيح كفة التأويل المقصودة[23]، ويقسم هايمس(hymes) خصائص السياق إلى:

- **المرسل**: منتج القول كاتبا كان أو متكلما.
- **المرسل إليه**: وهو متلقي الخطاب.
- **الحضور**:مستمعون يسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.
- **الموضوع**:مدار الحديث/ الكلام.
- **المقام**: الزمان/ المكان.
- **النظام**:اللغة/ اللهجة.
- **شكل الرسالة**:جدال/ دردشة/ مناقشة...
- **المفتاح**: وهو تقديم الرسالة، هل كانت موعظة أم شرحا مثيرا للعواطف.
- **الغرض**: ما يقصده المشاركون لا بد أن يكون نتيجة للحدث التواصلي[24].

إلا أن هذه الخصائص قد لا تكون ضرورية كلها في التأويل، فقد يختار المحلل منها ما يُمكّنه من عملية التأويل والفهم[25].

كما أوردا الباحثان كذلك تقسيما آخر للسياق وهو تقسيم **لويس** (louis) الذي يرمي إلى تحديد مدى صحة الجملة أو مدى صدق أو كذب جملة ما، وبذلك فالغرض من هذا التقسيم غرض منطقي محض:

- **العالم الممكن**: أخذ جميع الوقائع المفترضة بعين الاعتبار.
- **الزمن**:اعتبار الجمل الحاملة لدلالات زمنية.
- **المكان**:اعتبار الجمل الحاملة لدلالات مكانية.
- **المتكلم**: اعتبار الجمل الضميرية لضمير المتكلم.
- **الحضور**: اعتبار الجمل المتضمنة ضمائر الخطاب.
- **الشيء المشار إليه**: اعتبار الجمل المتضمنة أسماء إشارة.
- **الخطاب السابق**: لتفسير عبارات مثل: هذا الأخير، السابق الذكر.
- **التخصيص**: يشمل مجموعة غير منتهية من الأشياء.

ثالثا: هاليداي (M.A.K.Hlliday) ورقية حسن:

ألف الباحثان هاليداي (M.A.K. Halliday) **ورقية حسن** كتابا بعنوان:" الاتساق في الانجليزية"، عام 1976، وعرضا فيه الخطوط العريضة التي تقوم عليها لسانيات النص، وانطلقا من فكرة مفادها أن هذا العلم لا يعني سوى دراسة الوسائل اللغوية الخمسة الرابطة

بين الجمل في متتالية خطية[26]، فكان عملها مرتكزا على الاتساق ووسائله، ونصية النص لديهما لا تتحقق إلا بتوفر هذه الاعتبارات، واعتبرا الاتساق جزءا من نظام اللغة، فكانت الظواهر المحدّدة له هي نفسها الظواهر التي تعمل في الجملة من حذف وإضمار واستبدال...إلخ، ولا تكتسب هذه الظواهر صفة الاتساقية إلا إذا خرجت من حدود الجملة وعملت في مجال أكبر منها.

- **وسائل الاتساق**[27]:

1- **الإحالة**: هي علاقة دلالية بين المحيل والمحال عليه، تحتاج لتأويلها إلى مرجع يفسرها ويدل عليها.

2- **الاستبدال**: هو عملية تتم داخل النص، فتكون بتعويض عنصر بعنصر آخر، يذكر أحدهما أولا ثم يستبدل بآخر في جزء من النص وقد يكون الاستبدال (اسميا، فعليا، قوليا)، فدور الاستبدال يتجلى في مظهرين: **أولهما** استمرارية العنصر المستبدل في باقي النص من طريق العنصر البديل، **وثانيهما** اعتماد البديل على المستبدل في التأويل لأنه من دون الكلمات أو الأقوال السابقة للبدائل في الأمثلة السابقة لا يمكن بحال من الأحوال فهم هذه البدائل، وهو ما يحقق تماسكا شديدا بين أجزاء النص.

3- **الحذف**: يسميه الباحثان استبدالا بالصفر، لأنه يغيب العنصر اللغوي دون تعويضه، وهو في الغالب علاقة قبلية تتم داخل النص.

4- **الوصل**: هو تحديد للطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظّم، ويعتبر (الواو) من أكثر صيغ الربط شيوعا في النصوص.

5- **الاتساق المعجمي**: يقسمه الباحثان إلى:

أ ـ التكرار: وهو إعادة اللفظ في النص بصور مختلفة، كإعادته بلفظه ومعناه معا أو بلفظه دون معناه كذلك، قصد الإحالة عليه.

ب ـ التضام: هو توارد زوج من الألفاظ بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بفعل هذه العلاقة أو تلك.

رابعا: فان دايك(T.V. Dijk)

أصدر **فان دايك** (T.V. Dijk) كتابا بعنوان: "النص والسياق" سنة 1977، وفرق فيه بين النص والخطاب، جاعلا النص ذلك البناء النظري المجرد الذي لا يتجسد إلا من خلال الخطاب، على أنه فعل تواصلي، أما الخطاب فهو فعل الإنتاج اللفظي ونتيجته الملموسة والمسموعة والمرئية في آن واحد[28]، وقد حاول **فان ديك** من خلال هذا المؤلَف تحديد عناصر

النصية، مؤكدا على أن السياق هو الذي يُشكل معنى النص وهو الذي يخلق انسجامه[29]، وفيما يلي استقراء للمفاهيم التي يتحقق بها النص لدى **فان ديك**:

1- **الترابط**: ويقصد به تلك العلاقات الرابطة بين الجمل المتتالية، مع التأكيد على التعامل مع الجمل على أنها قضايا، لأن الربط الدلالي لا يتعلق بالجملة على اعتبار الخاصية الشكلية لهذه الأخيرة، فحتى تنسجم دلالات النصوص، لا بد من مراعاة ترابطها الذي تحكمه علاقات، أولها العلاقة الموجودة بين الدلالات والألفاظ والعبارات.

2- **اتساق فحوى الخطاب**: ويُعنى به تلك العلاقات التي تحكم التأويلات النسبية المؤدية إلى انسجام القضايا المذكورة في النص، فتأويل القضايا يعتمد على ما ذُكر سابقا، لأنها لا تأتي منعزلة عن بعضها، ويمكن أن نجمل هذه العلاقات فيما يلي:

- **تطابق الذوات**: بحيث تكون الذات المحورية في النص متطابقة ما تحيل عليه، كالضمائر وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

- **علاقات التضمن**: ممثلة في علاقة الجزء بالكل، والعام بالخاص، فالنافذة جزء من الغرفة مثلا، والعين جزء من الوجه أيضا.

- **مبدأ الحالة السوية الاعتيادية للعوالم**: بمعنى أن للنصوص عوالم مرتبة ترتيبات معينة، وتحصل للقارئ المعرفة بالحالة الاعتيادية للعالم من طريق خبراته وخلفياته المعرفية.

- **العلاقات الرابطة بين الموضوعات الجديدة**: من البديهي أن النصوص ذات موضوعات بنيات صغرى متعددة، والانتقال بين هذه الموضوعات من طريق علاقات من قبيل الرؤية والتذكر والتفكير والتخطيط... يحقق الانسجام بينهما.

3- **ترتيب الخطاب**: ويعني به أن ترتيب الأحداث في متتالية معينة يخضع لترتيب عادي تحكمه مبادئ مختلفة، ناجمة عن معرفة المتلقي بالعالم، وهو ما يُسهم في تحقيق الانسجام ، فإذا تغير الترتيب دون أن يضيف للمعنى قيما معرفية مقصودة لا تتحقق إلا به، اختل الانسجام من خلال عدم مراعاته للعلاقات الدلالية(العام/الخاص، الكل/الجزء، المتضمِن/المتضمَن، داخل/خارج...).

4- **الخطاب التام والخطاب الناقص**: فالخطاب التام عند **فان ديك** "أنّ كل الوقائع المشكِلة لمقام معين توجد في الخطاب، ولأن الوقائع التي تصف مقاما ما غير قابلة للحصر، فإن الخطابات ليست تامة، ولا تحتاج إلى أن تكون كذلك، بمعنى أن المعلومات الواردة في خطاب ما تخضع لعملية انتقاء بحيث لا نجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية"[30].

فتمام النص ونقصانه أمر نسبي يتعلق بموضوع الخطاب ونوعه والمرسل والمتلقي، فلكل مقام مقال كما يقال.

5- موضوع الخطاب/ البنية الكبرى الشاملة: يرى **فان ديك** أن لكل نصّ موضوعا يبنى عليه ويعد أساسه وركيزته، وما عدا ذلك ما هو إلا شرح وتفسير للموضوع[31]، فالبنية الكبرى تشمل القضايا الواردة في النص شمولا تجريديا، فهي أعلى ما يمكن أن يصله النص من العموم، وهو ما جعل صلاح فضل يذهب إلى القول بأن البنية الكبرى للنص مرتبطة بموضوعه الكلي، حيث تتجلى على أساسها كفاءة المتكلم والسامع للاحتفاظ بالعناصر المهمة في النص والإجابة عن أسئلة من نوع: عمّ كان الكلام؟ أو ماذا كان هدف هذا الحوار؟[32].

ويبقى مفهوم البنية الكبرى مفهوما نسبيا، إذ يمكن أن تكون بنية صغرى بنية كبرى في مستوى أدنى، والعكس صحيح، وهو ما يؤكد عليه **فان ديك** بقوله: "ومن ثمة فإن مفهوم البنية الكبرى يبدو نسبيا: فهو يميز بنية ذات طبيعة عامة نسبيا بالنظر إلى أبنية خاصة على مستوى أدنى آخر"[33].

وقد اقترح **فان ديك** أربع قواعد كبرى للوصول إلى البنية الكبرى وهي كما يلي:[34]

1- **الحذف:** حيث يتم حذف المعلومات غير المهمة، شريطة أن لا تكون لها وظيفة فيما بعدها في النص.

2- **الاختيار:** هو نوع آخر من الحذف، ويمكن من خلاله تحديد المعلومات التي تشكل العالم المعرفي للنص، فالحذف يَطال المعلومات التي يمكن استرجاعها فيما بقي منه، معنى ذلك أن هذه القاعدة تختار من القضايا ما يمكن أن يوصف به الحدث بشكل عام لتحذف المتعلقات الأخرى الخاصة بالإطار، ومن ثم العالم.

3- **التعميم:** تُعمّم قضايا أساسية في قضية عامة تجمعها جميعا لدرجة أنها تضيع تماما في البنية الكبرى، فتُحذف القضايا الأساسية كلها لتحل محلها قضية جديدة تنوب عنها جميعا.

4- **الإدماج:** تعويض تسلسل من القضايا بقضية لم تُذكر سابقا، فلا يُحذف فيها ولا يختار وإنما يُستدل عليها عقليا لأن القضايا المعوضة تُحيل إجمالا على القضية المعوضة ولا ترتبط القضايا بالقضية الجديدة ربطا لزوميا.

خاتمة:

بعد هذه المحطات التي وقفنا عندها، كان لا بد أن نستعرض أهم النتائج المتوصل إليها، والتي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

- إن الانتقال بالدراسة اللغوية من مستوى الجملة إلى مستوى آخر أكبر منها وأشمل ممثلا هذا المستوى في "لسانيات النص"، وهو نقلة لا شك في صحتها، ولكن هذا لا يعني أن ننفي لسانيات الجملة تماما، لأن المنهج الجديد نفسه لا يغفل الجملة، بل ينظر إليها من خلال علاقاتها بالجمل الأخرى المكونة للنص، فضلا عن علاقاتها بالسياق الذي ترد فيه.

ـ أكد اللسانيون المحدثون على وجود معايير معينة تضمن للنص نصيته، مثل: الاتساق والانسجام والقصدية والمقبولة والمقامية والتناص والإعلامية، وجعلوا القصدية من أهم الأسس لأنها تشير على فكرة النص لتفسير دلالته، فكلما كان النص واضحا مفهوما كلما تم التواصل بين منتجه ومتلقيه في أريحية تامة.

ـ كان هدف فان ديك من وضع قواعد معينة للسانيات النص عنصرين أساسين هما:

النظر إلى النص من الداخل (من حيث بنيته). النظر إلى النص في علاقته مع المتلقي.

ـ أكد براون ويول على مبدأ السياق جاعلا كلا من المرسل والمتلقي والزمان والمكان حلقة محورية في عملية تأويل الخطاب وفهمه.

ومهما يكن من قول فإن لسانيات النص هي فرعٌ من فروع اللسانيّات تهتم بدراسة النّصّ بوصفهِ الوحدة اللسانية الكبرى، وذلك من خلال جوانب متعددة أهمها الاتّساق والانسجام والسِّياق النصّي وأثر المشاركين في النّصّ (المرسل والمستقبل) وهذه الدراسة تتضمن النّصّ المنطوق والمكتوب على حدٍّ سواء، كما أنها تقوم على سبعة معايير ذكرها ديبوجراند وهي: الاتساق والانسجام و القصدية والمقبولية والإعلامية والموقفية والتناص. فلسانيات النص تتخذ من النص محورا للتحليل اللساني، فهو يبدأ من النص وينتهي به، والهدف منها هو البحث في النص كوحدة دلالية، تتشكل من متوالية من الجمل، تربطها عناصر تشكله.

الهوامش والإحالات:

[1]- محمود أحمد نخلة، لغة القرآن في جزء عم، دار النهضة، بيروت، د ط، 1981، ص449.

[2]- إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، طباعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د ت، ص191.

[3]- ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب في كتب الأعاريب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح، ج2، ص374.

[4]- ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص18.

[5]- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص14.

[6]-الأزهر الزناد، نسيج النص، ص14.

[7]- ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت، ص65.

[8]- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في لسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر،ط2 ، دت، ص167.

[9] - Harris Z. Analyse de discours langage N 17 ,Larousse, Paris, 1969,P 11-12.

[10] - Bakhtine Michael, Esthétique et théorie du roman, Gallimard, Paris, 1978, P 59.

[11] - jean michel adam, elements de linguistique textuelle, theorie et pratique, de l'analyse textuelle deuxiéme édition, margage, 1990, P9.

[12] - سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية "أفاق جديدة "، عالم الكتب (نشر، توزيع، طباعة)، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص225.

[13] - ينظر: م ن، ص 226.

[14] - ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص؛ المفاهيم والتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص19.

[15] - سعيد يتطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص17.

[16] - فولفانج هيه من و فهفيجر دييتر، مدخل إلى علن اللغة النفي، تر: فالح بن شيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1999، ص21.

[17] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991، ص47

[18] - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1997، ص48.

[19] - ينظر: محمد خطابي، م س، ص48.

[20] - ينظر: م ن، ص48 49.

[21] - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب ص71.

[22] - ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001، مج01، ص297، 280.

[23] - ينظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ص47

[24] - ينظر: م ن، ص47، 48.

[25] - ينظر: م ن، ص49.

[26] - ينظر: عمر أبو خزمة، نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006، ص 81.

[27] - ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل انسجام الخطاب، ص16-25.

[28] - ينظر سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص14-16.

[29] - ينظر عمر أبو خزمة، نحو النص؛ نقد النظرية وبناء أخرى، ص 85-86.

[30] - محمد خطابي، لسانيات النص، ص40.

[31] - ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النص: نقد النظرية وبناء أخرى، ص89.

[32] - ينظر: صلاح فضل، في البلاغة وعلم النص، دار الكتاب المصري، مصر/ دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 2004، ص310.

[33]- فان ديك، علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط، 2001، ص75

[34]- ينظر: فان ديك، النص: بنى ووظائفه، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص160، 161.

المراجع:

1ـ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، طباعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د ت.

2 ـ أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.

3. ـ الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993.

4 ـ براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 1997.

5 ـ جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، د ت.

6 ـ خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في لسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر،ط2، دت.

7 ـ سعد عبد العزيز مصلوح، في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية "أفاق جديدة "، عالم الكتب (نشر، توزيع، طباعة)، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

8 ـ سعيد حسن بحيري، علم لغة النص؛ المفاهيم والتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان القاهرة، مصر، ط1، 1997.

9 ـ سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989.

10 ـ سعيد يتطين، تحليل الخطاب الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

11 ـ صلاح فضل، في البلاغة وعلم النص، دار الكتاب المصري، مصر/ دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 2004 .

12 ـ عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2006.

13 ـ فان ديك، علم النص؛ مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001 .

14 ـ فان ديك، النص، بنى ووظائف، تر: منذر عياشي، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004 .

15 ـ فولفانج هيه من و فهفيجر دييتر، مدخل إلى علن اللغة النفي، تر: فالح بن شيب العجمي، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية، 1999.

16 ـ محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1991.

17 ـ محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس، 2001، مج01.

18 ـ محمود أحمد نخلة، لغة القرآن في جزء عم، دار النهضة، بيروت، د ط، 1981.

19 ـ ابن هشام، مغني اللبيب في كتب الأعاريب، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، مكتبة صبح، دط، دت، ج2.
20- Bakhtine Michael, Esthétique et théorie du roman, Gallimard, Paris, 1978.
21- Harris Z. Analyse de discours langage N 17 ,Larousse, Paris, 1969,
22- jean michel adam, elements de linguistique textuelle, theorie et pratique, de l'analyse textuelle deuxiéme édition, margage, 1990.